نظرية النسبية الثقافية

وتعرف بالنسبية الحضارية وهي ترتبط بالدرجة الأولى بالأثنولوجيا والمقارنة بين المجتمعات إذ أنها تتطلب "ضرورة تجرد الأنثروبولوجيين من مواقفهم الحضارية المحلية ودراسة سلوك الجماعات الغريبة وفق القاعدة القائلة بشرعية قيم تلك الجماعات وأحقيتها بموضوعة البحث دون تحيز سلبي أو إيجابي ولذا يتعين عليه ألَّا يطلق أحكاماً حول الثقافات المختلفة، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على الباحث المحلي، ثم الصلة الواضحة بين هذه النظرية التي تقر بتفاوت الثقافات تفاوتاً نابعاً من تفاوت عدة جوانب في الحياة وليس لأفضلية ثقافة على أخرى.

ترتبط أيضا بمنهج (الفهم الذاتي)الذي يهتم لوصف الثقافات من وجهة نظر أفرادها. أي فهمها من داخلها لا من خارجها، وهذا هو المرتكز الأساس لنظرية النسبية الثقافية.

حيث إنَّ اختلاف الثقافات بين المجتمعات المختلفة يجعلنا نقر بوجود ثقافات محلية متعددة ومتنوعة، وكل ثقافة قد تلتقي مع ثقافة ما في سمة ثقافية أو عنصر ثقافي أو سائر ما تتكون منه الثقافة في هذا المجتمع أو ذاك، وقد تختلف مع ثقافة أخرى في السمة ذاتها أو العنصر ذاته أو مكون آخر من أجزاء الثقافة ومنها المعرفة، فلكل مجتمع معرفته وطبيعة خاصة لفهم الطبيعة وتفسير الحوادث. وهذا ما يقودنا مباشرة إلى نظرية النسبية الثقافية التي "ارتبطت بتلاميذ وأتباع فرانس بواس في أمريكا الشمالية كما تعرف أيضا باسم الحتمية الثقافية وظهرت كنظرية مناوئة للنظرية التطورية

وأكد بواس على ان الثقافة تشمل الحقول المادية والاجتماعية والرمزية والتأكيد على اختلاف الثقافات والنظر إليها كسياقات للسلوك الإنساني المكتسب بالتعلم فاستدعى ذلك مفهوم النسبية الثقافية، الفكرة التي تُعَدُّ ضرورية لفهم الثقافات في ضوء مصطلحاتها الخاصة وسياقاتها التاريخية قبل محاولة التعميم أي أن تفهم الثقافات في

شروطها الذاتية في المقام الأول بغض النظر عن معايير الباحث وفي معنى آخر ترى النسبية الثقافية الثقافات على أنها غير متكافئة وكل واحدة مستقلة بذاتها ومفهومة وفق طبيعتها فقط، ولقد استندت أنثروبولوجيا بواس إلى تفاعل الظواهر البيولوجية والثقافية وأن هذه النظرية تنطوي على حتمية ثقافية مؤداها أن السلوك والذهنية هما نتاج للتعلم داخل بيئات ثقافية محددة.

و يحدد (ميلفورد سبيرو) ثلاثة أنماط للنسبية هي: الوصفية والمعيارية والمعرفية، ويقصد بالنسبية الوصفية ما يفرزه التباين الثقافي من إدراكات اجتماعية ونفسية مختلفة لدى الشعوب المختلفة. أما المعيارية فتؤكد على أنه ليس ثمة معايير عامة أو عالمية للحكم فيما بين الثقافات. وأما النمط الثالث هو المعرفية أو الأبستيمولوجية والتي هي شكل من أشكال المعيارية ومؤداها أن التنوع الثقافي لا محدود وأن أنساق المعرفة التي تتميز بها مجتمعات مختلفة هي أنساق لا قياسية ولا يمكن التعميم فيها أو مقارنتها بأنساق مجتمعات أخرى.

وفي إطار النسبية الثقافية توصلت العلامة (روث بندكت) إلى أنه "حددت عناصر الثقافة في ضوء الثقافة في كليتها وشمولها... وقد خلصت إلى نتيجة مؤداها أن السلوك السوي في ثقافة معينة لا يعد كذلك في ثقافة أخرى"

وترى بندكيت "أن الثقافات يجب أن تؤخذ ككل باعتبار أن كل ثقافة هي ثقافة متكاملة لها مبادئها الخاصة وصيغها الخاصة، وأن أكثر ما ركزت عليه –بنديكت– ضرورة الاعتراف بالفوارق الثقافية بين الثقافات وعدم فرض أخلاقنا وقيمنا على كل الشعوب".